رجل منكم برجل منهم قالوا افعل فأبى الأطم فقالت عفيرة للأسود لا تفعل فإن الغدر
ذلة وعار ولكن كاثروا القوم في ديارهم فتظفروا أو تموتوا كراما قال لا ولكن نمكر بهم
ليكون ذلك أمكن منهم ثم إن الأسود صنع طعاما وأمر قومه أن يخترطوا سيوفهم
ويدفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام ثم قال لهم إذا أتوكم يجرون فخذوا سيوفكم وشدوا
عليهم وابدؤوا برؤسائهم فإنكم إذا قتلتم رؤساءهم لم تحفلوا بالسفلة فقالوا نفعل
ثم دعا الأسود عمليقا وطسما إلى طعامه الذي صنع فأتوه على إجابته
إلى دعوة الأسود فلما توافقوا إلى المرعات وثب جديس فشهروا سيوفهم من الرمل
وشدوا على عمليق وطسم فقتلوهم حتى أفنوهم من آخرهم وما أفلت منهم غير رجل
اسمه رباح بن مرة فأتى حسان بن تبع فاستغاث به وقد كان عمد إلى جريدة نخل رطبة
فجعل عليها طينا وحملها معه وخرج معه بكلبة فلما أتى حسانا كسر بين الكلبة
وشق الطين عن الجريدة فخرجت خضراء فدخل على حسان فاستغاث وخبره بالذي فعلت
جديس بهم فقال له الملك ومن أين أقبلت قال من جنبتها أبيت اللعن من أرض من بنية وأراه
الجريدة والكلبة وقال له خرجت بهما من بلادي قال حسان إن كنت صادقا فقد جئت من مكان
خصيب فقال له رباح إن لهم أموالا وثمارا وورقا ومسكا وعنبرا وفيهم امرأة تعمرى
بالشهر والزبر والنخل لم ير مثلها في عرب ولا عجم ثم نادى حسان في حمير فأخبرهم
بما صنعت جديس بطسم قالوا وما جديس أيها الملك فقال عفير طسم قالوا فما حمل هذا
من أربابهم إخواننا وما نعقب لبعضهم على بعض وهم عبيدك أيها الملك فقال حسان
فما هذا الحسن أرأيتم إن كان هذا فيكم أكان يحسن بملككم أن يهدر دماءكم وما علينا في
الحكم إلا أن ننصف بعضكم من بعض فقالوا الأمر أمرك أيها الملك فأمرنا بما أحببت
فأمرهم بالتهيؤ فساروا حتى كان بينهم وبين اليمامة ثلاث ليال قال له رباح بن مرة أبيت
اللعن إن لي أختا متزوجة في جديس تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وإني أخاف
أن تنذر قومها فليأمر كل إنسان أن يقلع شجرة من الأرض ويضعها أمامه فأمرهم حسان
بذلك ثم ساروا وكان اسم أخت رباح يمامة بنت مرة فنظرت يمامة من منظر لها
على رأس حصن فقالت يا جديس قد سارت إليكم الشجر فقالوا لها وما ذاك قالت
إني أرى شجرا من ورائها بشر وإني أرى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف
نعلا فكذبوها وغفلوا عن أهبة الحرب حتى صبحتهم حمير وفي ذلك تقول اليمامة
وقيل إن اسمها عنز وقد قيل إنها هي الزرقاء صاحبة جذيمة المتقدم ذكره
وقيل إن الغازي اليمامة هو عبد كلال

خذوا حذركم يا قوم ينفعكم ۝ فليس ما قد أرى بالأمر يحتقر
إني أرى شجرا من خلفها بشر ۝ وكيف يجتمع الأشجار والبشر
إني أرى رجلا في كفه كتف ۝ أو يخصف النعل ليس يفتقر
ثوروا بأولكم في وجه أولهم ۝ فإن ذلك منكم فاعلموا الظفر
وغوروا كل ماء دون منزلهم ۝ فليس من دونهم ورد ولا صدر
أو بحلوا القوم عند الليل إذ رقدوا ۝ ولا تخافوا لهم حربا وإن كثروا

فلما لبثوا أن صبحهم حسان بعد ثالثة فاستباح اليمامة قتلا وسبيا وهرب
الأسود في نفر حتى نزل في طيء فأجاروه من كل من طلبه وهم لا يعرفونه فقيل إنه في
طيء من ثورة وذكر أصحاب الأخبار أن طيئا إنما صار جبلاها بسبب منه الأسود بن غفار
فإنه في الجبلين طيء قبل نزول طيء إياهما وكانت طيء تسكن الجرف من أرض اليمن وكان سيدهم
يومئذ أسامة بن لؤي بن الغوث بن طيء وكان الوادي مسبعة وهم قليل عددهم وقد
كان ينتابهم بعير في أيام الخريف ولا يدرى أين يذهب ولا يرونه إلى قابل فقال لهم أسامة
إن هذا البعير الذي يأتينا من بلد ريف وخصب وإنا لنرى في بعره النوى فلو أنا نتبعه عند
انصرافه فنشخص معه لكنا نصيب مكانا خيرا من مكاننا هذا فأجمعوا أمرهم على ذلك
فلما كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسيرون
بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين فقال أسامة بن لؤي

اجعل ظريبا كحبيب ينسى ۝ لكل قوم مصبح وممسى

قال وظريب اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به فهجمت طيء على النخل في الشعاب وعلى مواش
كثيرة وإذا هم برجل في شعب من تلك الشعاب وهو الأسود بن غفار فهالهم ما رأوا من
عظم خلقته وتخوفوه ونزلوا ناحية من الأرض واستبرؤوها هل يرون بها أحدا غيره
فلم يروا فقال أسامة بن لؤي لابن له يقال له الغوث أي بني إن قومك قد عرفوا فضلك
عليهم في الجلد والبأس والرمي فاكفنا أمر هذا الرجل فإن كفيتهم هذا الرجل سدت قومك آخر الدهر وكنت الذي
أنزلتنا هذا البلد فانطلق الغوث حتى أتى الرجل فكلمه وسائله فعجب الأسود من
صغر خلق الغوث فقال من أين أقبلتم فأخبره خبر البعير ومجيئهم معه وأنهم هبوا
ما رأوه من عظم خلقه وصغرهم عنه فشغله بالكلام ثم رماه الغوث بسهم فقتله
وأقامت طيء بالجبلين بعده وهما أجأ وسلمى انتهى ما ذكره الضابط
ثم إن حسان لما فرغ من جديس أمر باليمامة وكانت زرقاء فنزع عينيها فإذا في داخلها
عروق سود فسألها عن ذلك فقالت له حجر يقال له الإثمد كنت أكتحل به